مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهبةِ المسيح* فلذلكَ يقولُ لمَّا صعِدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُهُ صعِدَ هل هو إلاَّ إنَّهُ نزَلَ أولاً إلى أسافلِ الأرض* فذاكَ الذي نزَلَ هو الذي صعِدَ أيضاً فوقَ السمواتِ كلِّها ليملأَ كلَّ شيء* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسينَ ولعمَلِ الخدمةِ وبُنيانِ جسَدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمان لمَّا سمع يسوع انَّ يوحنا قد أُسلِمَ

أولية بابا رومية ووحدة الكنائس

من المعروف أنّ واحدة من العقبات الرئيسية التي تحول دون إعادة الوحدة بين الكنيسة الأرثوذكسية، من جهة، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية من جهة أخرى، هي مسألة أولية بابا رومية كما تنظر إليها الكنيسة الكاثوليكية، من وجهة نظر عقائدية، وكما تمارسها في الخبرة الكنسيّة الملموسة. فالكنيسة الأرثوذكسية، ومعها الكنائس المنبثقة من حركة الإصلاح، التي قامت في القرن السادس عشر، تستصعب القبول بأوليّة أسقف رومية، كما عاشتها الكنيسة الكاثوليكية في الألف الميلاديّ الثاني، أي بعد الإنشقاق الكبير بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب، الذي يصطلح الدارسون على تأريخه في العام ١٠٥٤، وخصوصاً كما عبّرت عنها الكثلكة في ما يُعرف بالمجمع الفاتيكاني الأول (١٨٧٠-١٨٧١)، الذي أضفى على أوّلية أسقف رومية طابعاً مطلقاً، معتبراً هذه الأولية مسألةً كنسيّة جوهريّة، ومُقرناً إيّاها بفكرة عصمة أسقف رومية الشخصيّة، حين يضطلع بمهمّة تحديد العقائد.

لقد شهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي، وصولاً إلى يومنا هذا، أخذاً ورداً طويلين في خصوص هذه المسألة. وقد تبلور، لدى الأرثوذكس، موقف مبدئيّ يقول بعدم قبولهم التطوّر اللاهوتي الحاصل في الكنيسة الكاثوليكيّة، في الألف الثاني، حيال موضوع الأوّليّة البابويّة، وبضرورة الوصول إلى حلٍّ يستلهم الخبرة المسيحيّة المشتركة في الألف الأوّل. كما عبّر الكثير من اللاهوتيين البروتستانت عن قبولهم مبدأ الركون إلى هذه الخبرة في سبيل التوصّل إلى حلّ. أمّا من الجهة الكاثوليكيّة فإنّ أبرز ما طرأ، في هذا الشأن كان الوثيقة المدعوة «ليكونوا واحداً»، التي أصدرها البابا الراحل يوحنا بولس الثاني، في التسعينات، داعياً الأرثوذكس إلى حوار مشترك في ماهيّة الأوّليّة البابويّة، كما اختبرتها الكنائس قبل الإنشقاق. لكنّ تعثّر الحوار الأرثوذكسي ـ الكاثوليكي، بنتيجة تطوّرات السنين الأخيرة في أوروبا الشرقيّة والبلقان وروسيا، أدّى إلى تأخير البحث في هذا الموضوع، على نحوٍ رسميّ، بين الكنائس. واللافت أنّ هذا الحوار عاد ليتكثّف

العدد ٢/٢٠٠٧

الأحد ١٤ كانون الثاني

وداع عيد الظهور الإلهي

تذكار آبائنا الأبرار المقتولين

في طور سيناء ورايثو

اللحن السادس

إنجيل السَحَر التاسع

انصرفَ إلى الجليل* وترك النـاصرةَ وجاءَ فسكن في كَفرناحوم التي على شاطئ البـحـر فـي تـخوم زبـولـونَ ونـفـتـالـيـمَ* لـيتمَّ مـا قيل بـإشعيـاءَ الـنـبـي الـقـائل: أرضُ زبـــولـــون وأرضُ نفتاليم طريقُ البحر عَبْرَ الأردن جليل الأُمم* الشعبُ الجالس في الظلمة أبصرَ نوراً عظيماً والجالِسون في بُقعَةِ الموتِ وظِلالِه أشرق عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرِزُ ويقول: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

من المستحيل أن تعيش بسلام مع الله بدون توبة متواصلة. ولقد وضع الرسول يوحنا الشرط التالي للسلام مـع الـلـه: «إن لم تلمنا قلوبنا» (١ يو٣:٢١). إن لـم يـكـن لـديك شيء فـي ضميرك فيمكنك أن تمتلك الجرأة للدنو من الله بشعور مـن الـسـلام، لـكـن إن كـان لـديك شـيء مـا، فـالـسـلام سيضطرب عندئذ. أن يكون لدينا شيء ما في ضميرنا: هذا بسبب إدراك الخطيئة. لـكـن حسب نـفـس الـرسـول، نـحـن لسنـا بـدون خطيئة أبداً: وهـو يشعر بـهذا بقوة لدرجة يدعو معها كل واحد يظن نفسه غير ذلك كاذباً (١ يو ١:٨). وبـالـتـالـي، لا توجد أبداً لحظة واحدة لا نـمـلـك فـيـهـا شـيـئـاً فـي ضـمـيـرنـا، سواء بصورة

اليوم، بعد انقطاعه مدّة سنوات. ولقد وضـع الـلاهـوتيـون، مـمثّلو الكنائس، نصب أعينهم أن يبحثوا الخلافات المتعلّقة بمسألة الأسقفيّة، ولا سيّما تلك المختصّة بأوّلية أسقف رومية.

طبعاً، إلى جانب منصّة الحوار الرسمي بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، والتي يتمثّل فيها كلّ جانب بثلاثين لاهوتياً ولاهوتية، ثمّة أفكار يُفصح عنها العارفون، هنا وهناك، وجهود لاهوتيّة تُبذل، من دون أن تتّخذ ، بالضرورة، طابعاً رسـمـيـاً. بيد أنّ وظيفتها، في آخر المطاف، هي دعم حركيّة الحوار بين الكنيستين، وذلك عبر وضع تصوّرات ودراسـات تـسـتـجـلـي بـعض جـوانب الموضـوع، من الناحيتين التاريخيّة والعقائدية، مـا قد يسهّل للمحاورين الرسميين المضيّ قدماً في عمليّة تقريب وجهات النظر، والتوصّل إلى مشاريع حلول مقبولة من الأطراف كافةً.

على هذا المستوى، ثمّة ميل واضـح، لـدى عـدد مـن الـلاهـوتـيـين الـكـاثـولـيك، إلى الحضّ على إعادة قراءة مقرّرات المجمع الفاتيكانيّ الأوّل وتفسيرهـا. وذلك انطلاقـاً من أنّ هذا المجمع، عبر إعلانه أوّليّة بابا رومية المطلقة وعصمته، يشكّل العقبة الأكثر صعوبةً على طريق الحلّ. ويشير بعض هؤلاء اللاهوتيين إلى أنّ المجمع الفاتيكاني الأول، في بدء نصوصه، يشدّد «على ضرورة تفسيرها بـمـا يـنسجـم مـع مقرّرات المجـامـع المـسكـونـيّـة المـنـعـقـدة فـي الألف الميلادي الأول، مـا يـحـتّـم، الـيـوم، إعادة «قراءة» هذه النصوص، لا من باب أنّها تعبّر عن حقيقة مطلقة، بل من باب أنّها يجب أن تُفهم في ضوء مـا سبـقـهـا مـن خبرة مشتركة مع الكنيسة الأرثوذكسيّة. فضلاً عن ذلك، يـثـمّـن بـعض هـؤلاء الـلاهـوتـيـين الكاثوليك ما يرونه متأصّلاً في عدد

مـن نـصـوص الـمـجـمـع الـفـاتـيـكـانـي الأول من أنّ عصمة البابـا لا يمكن مقاربتها بوصفها مسألةً ميكانيكية، بل هي عصمة مواهبيّة لا تستقيم إلاّ عـلـى قـدر اشـتـراك بـابـا رومـيـة، والأساقفة الملتفّين حوله، في عصمة الروح القدس، الذي هو، في التحليل الأخير، مبدأ العصمة الأوحد في الكنيسة.

الأكيد أنّ مثل هذا الكلام يبدو غريباً، للوهلة الأولى، لدى عدد كبيرٍ مـن الأرثـوذكس. فـهـم يـعـتـبـرون أنّ المعضلة الأبرز تكمن في أنّ مقررات المجمع الفاتيكاني الأول لا تنسجم البتّة مع الخبرة الكنسيّة المشتركة بـيـن الـكـاثـولـيك والأرثوذكس. وهـم، طـبـعـاً، مـحـقّـون في ذلك. لكنّ مبدأ إعـادة تـفـسـيـر مـا قـيـل فـي الـمـاضـي، بالإستناد إلى معطيات جديدة، أمر مشروع كنسيًّا. فإذا حسمت الكنيسة الكاثوليكية أمرها، وأعادت النظر في كـيـفـيَّـة فـهـمـهـا نـصـوص المـجـمـع الفاتيكاني الأول، من دون أن تُسقط هذه النصوص من إرثها، أدّى هذا، فوراً، إلى اعتبار هذه النصوص وليدة إطار تاريخيٍ لم يعد اليوم قائماً، ما يقلّل، تلقائياً، من أهميّتها بالنسبة إلى المستقبل. بكلمات أخرى، المجمع الـفـاتـيـكـانـي الأول ولـيـد ظـروف اجتماعية وسياسية في الغرب حدت بالكنيسة الكاثوليكية إلى ربط السلطة الكنسيّة، على نحو شبه مطلق، بأسقف رومية، وذلك كردّ فعل على علمنة القرن التاسع عشر التي راحت تنزع الصفة الدينية عن كثير من نُطُق الحياة اليومية وحقولها، ولا سيّما في مجالي السياسة والاجتماع. فإذا اقتنعت الكنيسة الرومانية بأن الزمن تـخـطّـى هـذه الـظـروف، وأنّ الكلمة الـفـصـل فـي كيفيّة عـيـش الأولـيّـة البابوية، والتعبير عنها، هي للخبرة المشتركة مع الأرثوذكس، استتبع هذا خطوةً ناجعةً على درب تذليل

إرادية أو غير إرادية، وبالتالي لا توجد لحظة واحدة نؤمّن فيها سلامنا مع الله. ينتج من هذا أنه من الضروري - بصورة مطلقة - أن نطهّر ضميرنا لكي نكون بسلام مع الله. يتطهّر الضمير بالتوبة: وبالتالي فهي توبة متواصلة، بالضرورة. إذ إن التوبة تطهّر كل إثم من النفس وتجعلها نقيّة (١ يو ١:٩).

لا تتألف التوبة من الكلمات فقط «يا رب اغفر، يا رب ارحم». لكي ننال غفران الخطايا يجب علينا أيضاً أن ندرك ملء النجاسة الواضحة لكل فكر ونظرة وكلمة، لكل نوع من الإغراء؛ علينا أن نكون واعين لذنبنا الشخصي ولتعدينا الشخصي على الناموس ولفقداننا العذر؛ علينا أن ندرك حاجتنا إلى الصلاة طلباً لمغفرة الله، حتى تحصل الروح على السلام. بمقدار ما تكون الخطايا الكبيرة مهمة بمقدار ما يجب أن نعترف بها فوراً لأبينا الروحي وننال المغفرة؛ لأنه في حالة خطايا مثل هذه لا يمكننا استعادة السلام لروحنا بمجرد تأدية أعمال التوبة اليومية في صلواتنا الخاصة. لذلك فواجب التوبة المتواصلة هو نفسه واجب حفظ ضميرنا طاهراً غير ملوم.

يجب أن يُفهم أن الإنسان المجاهد نحو الكمال لا يدرك، من نفسه، التقدم

الصعوبة. ولا شك في أنّ اللاهوتيين الكاثوليك الذين يومئون إلى مثل هذه الإمكانية يقولون بأنها تقتضي، من جهة الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، جهداً فكرياً ولاهوتياً واضحاً من الصعب التكهّن، اليوم، بمدى احتمال حصوله، رغم أنّهم يجنحون إلى القول بأنّ البابا المنتخب حديثاً مهتمّ، كثيراً، بالحوار مع الكنيسة الأرثوذكسية، حتى إنّهم يستندون، في طروحاتهم، إلى بعض ما كتبه، قبل انتخابه أسقفاً على رومية.

ولكن ما معنى استلهام الخبرة الكنسيّة المشتركة في الألف الأوّل طريقاً للحلّ؟ هنا، يؤكّد المؤرّخون أنه لم يكن هناك، في الألف الأوّل، وضوحاً في كيفيّة ممارسة بابا رومية أوّليّته، رغم أنّ المصادر تشير، صراحةً، إلى أنّ كلّ الكنائس كانت تعترف لبابا رومية، وللمدينة التي هو أسقفها، بأوّلية لا تنبع فقط من كونها عاصمة الإمبراطوريّة الرومانية، بل أيضاً مكان استشهاد هامتي الرسل، بطرس وبولس، والكنيسة التي تحتضن ذخائرهما.

ويبدو أنّ هذه الأوّليّة لم تكن مسألة طارئة، بل متأصّلة في جوهر الخدمة الكهنوتيّة - الأسقفيّة. فكما أنّ الكنيسة المحليّة لا يمكن تخيّلها من دون متقدّم، وكما أنّ المجامع الإقليميّة تستوجب وجود متقدّم هكذا فإنّ كنائس المسيح المنتشرة في أصقاع الأرض كافةً لا بدّ لها من أسقف يتقدّم أساقفتها، لا من باب السلطة، بل من حيث اضطلاعه بمهمّة جمع الشمل والعمل على فضّ الخلافات، فور نشوئها، فضلاً عن إمامة مجمع الأساقفة، حين انعقاده. بهذا المعنى، الأوّليّة ضرورة كنسيّة، لكنّها ليست ممارسةً قانونيّة، بل هبة الله لكنيسته، حتى تستقيم

أمورها. ولعلّ أبرز تعبير عن الأوّلية بوصفها موهبةً هو القانون الرابع والثلاثون من قوانين الرسل، الذي يوصي بألاّ يقوم المتقدّم بأي خطوة من دون الرجوع إلى مجمع الأساقفة، وأن يعزف الأساقفة، بدورهم، عن أيّ تفرّد، راجعين إلى المتقدّم في كلّ شيء. هذا النص، الذي يبدو غريباً للوهلة الأولى، يُفصح، بوضوح، عن معنى الأوّلية، كما أرادها آباء الكنيسة ومعلّموها. وذلك بصرف النظر عن الإنحرافات التي شهدها التاريخ الكنسيّ، عبر العصور، في الطريقة التي مورست فيها هذه الأوّلية، لا في رومية فحسب، بل في كنائس أخرى أيضاً. فالقانون المشار إليه أعلاه يحذّر، في العمق، من أيّ تطرّف، كائنة ما كانت الجهة التي يأتي منها، ويوصي بألاّ يألو من أقامهم الروح القدس أساقفةً على الكنيسة (أع ٢٠:٢٨) جهداً في أن تأتي قراراتهم كلّها وليدة شورى وإجماع، لا وليدة تسلّط أو مجرّد ديمقراطيّة عدديّة عمياء. وفي هذا، ولا ريب، تحدٍّ كبير لا لأسقف رومية فحسب، بل لأساقفة المسكونة أجمع. المهمّ أنّ إعادة الوحدة إلى كنائس الله، عبر تجاوز عقدة الأوّلية البابويّة، لا بدّ له أن ينتهج هذا المسلك، إذا هو رام الإخلاص للتراث المشترك. لأنّ معنى هذا التراث لا يكمن في انحرافات التاريخ، بل في الرؤية اللاهوتيّة المستندة إلى إنجيل يسوع، والمعبَّر عنها شرقاً وغرباً. فحوى هذه الرؤية أنّ الأوّليّة ضرورة كنسيّة، لكنّها أبعد ما يكون عن التسلّط وادّعاء العصمة. لذا، حريّ بنا أن نرفع الابتهال إلى الله حتى يأتي المسعى الوحدويّ منسجماً مع هذه الرؤية، فيتحقق ما نصلّي له في كلّ خدمة قداس إلهي أن يكون الكلّ واحداً.

الذي يحرزه على هذا الطريق. إنه يكدّ بعرق جبينه، ولكن تعبه لا يثمر بمقدار ما يمكنه أن يرى. هذا لأن النعمة تعمل بصورة سرّية. فعين الرؤية البشرية لا تميّز الخير الذي يعمله. إن الشيء الوحيد الذي يمكن للإنسان نفسه أن يراه هو عدم استحقاقه الشخصي.

يكون طريق الكمال بإدراك أننا عميان، فقراء وعراة. هذا الإحساس بالعري وثيق الإرتباط بانسحاق الروح، عندما نسكب قدام الله، بتوبة متواصلة، حزننا وأسانا على بخاستنا. إن مشاعر التوبة عنصر أساسي للتقدم الروحي الحقيقي، ومَن يتهرب منها ينحرف عن الطريق الصحيح. التوبة هي نقطة البداية وحجر الأساس لحياتنا الجديدة في المسيح؛ ويجب أن توجد ليس فقط في البداية وإنما طوال نموّنا في هذه الحياة، مزدادةً كلما تقدمنا . بوصولنا إلى النضج الروحي يصبح الإنسان واعياً، بحدةٍ، لخطيئته وفساده، وينمو إحساسه بالانسحاق والتوبة بشكل أعمق. إن العبرات هي مقياس التقدّم، والدموع المتواصلة هي علامة على الوصول إلى الكمال.

ثيوفانس الحبيس

من أقوال القديس أنطونيوس

الخوف واجب من الله وحده، أما الشياطين فيجب الازدراء بها. فمهما زادت علينا التجارب ينبغي أن نزيد الجهاد لأن السلاح الكبير ضد الشياطين هو الحياة المستقيمة بالله. إنها تخاف من صيام النساك ومن سهرهم ومن صلواتهم ومن وداعتهم ومن هدوئهم ومن مقتهم الفضة ومن هربهم من المجد الباطل ومن تواضعهم ومن محبتهم للفقر ومن إحساناتهم ومن عدم غضبهم وقبل كل شيء من تقواهم للمسيح.

لهذا السبب فإنها تحاول بكل الأساليب تذليل الذين يدوسون عليها لأنها تعرف جيداً ماهية النعمة المضادة لها التي أعطاها المخلّص للمؤمنين قائلاً لهم: «ها قد أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدّو» (لو ١٠:١٩).

وإذا أتتكم الشياطين ليلاً ارسموا إشارة الصليب على صدوركم وبيوتكم وصلّوا فتضمحل من أمامكم. إنها جبانة وتخاف كثيراً من إشارة الصليب السيّدية؛ بالصليب خذلها المخلّص وشهّرها. وإذا استمرّت واقفة رغم ذلك، متشكلة بخيالات وبصور متنوعة، لا تخافوا ولا ترتعدوا. إنها ليست بشيء، وستضمحل سريعاً.

وإنها أحياناً كثيرة تتقلّد الترتيل دون أن تظهر لنا وتنطق بآيات من الكتاب المقدّس، وتوقظنا من النوم لننهض إلى الصلاة، ولا تدعنا ننام طوال الليل تقريباً. ومع ذلك ينبغي ألاّ نصغي إليها حتى ولو دفعتنا إلى عدم تناول الطعام ولامتنا وأنّبتنا على أمور فعلناها بمشورتها. هذا لأنها لا تفعل ذلك بدافع الحقيقة والاحترام لنا. وإنما لتقود الرهبان الأصحّاء إلى اليأس وتوهمهم بأن النسك لا منفعة له وتشوش أفكارهم وتجعلهم يشعرون بثقل الحياة الرهبانية وصعوبتها وتمنع الذين يجاهدون ضدها.

إن رؤيا القديسين لا تولّد اضطراباً في النفس. هذا لأنه مع حضور القديسين يحضر الرب أيضاً، الذي هو فرحنا وفي الوقت ذاته قوّة الآب. ففي أثناء ذلك، إذ تبقى النفس هادئة وبعيدة عن كل اضطراب تستضيء برؤية القديسين ويتولّد فيها شوق الخيرات الإلهية المستقبلة وتشتهي الالتصاق بالأشخاص المرئيّين والانطلاق معهم، إذا وجد لها سبيل لذلك.

وإذا كان هناك أناس يخافون من رؤية القديسين، فالقديسون المرئيون يزيلون الخوف بالمحبّة، كما فعل الملاك جبرائيل للنبي زخريا والملاك الذي ظهر للرعاة والنسوة عند القبر الإلهي قائلاً لا تخافوا. لأن الخوف في مثل هذه الحالات، الناجم عن رؤية القديسين لا يعود إلى خوف نفسي شخصي، وإنما إلى معرفة حضور أمور سامية.

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٧ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ١٧ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيّا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb